الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

عنوان المداخلة:

" مَعَالِمُ الاتجَاهِ الإِصْلَاحِي مِنْ خِلَالِ اسْتِثمَار الدَّرْسِ التَّفْسِيرِي والحَدِيثِي لدَى جَمْعِيَّة الْعُلَمَاءِ الْمُسلِمِينَ الجَزَائِرِيينَ، مجلَّة "السنَّة" و"الشَّريعَة" و"الصِّرَاط"- أنموذجا-. "

من إعداد:

د/ عبد المطلب بن عشورة

أستاذ محاضر "ب" بقسم الكتاب والسنة، كلية أصول الدين، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية, قسنطينة.

التخصص: التفسير والقراءات/ والاتجاهات المعاصرة في الدراسات القرءانية والتفسيرية.

العنوان الإلكتروني: arroaym86@gmail.com

رقم الهاتف: 0658869950

مداخلة متقدَّمٌ بها إلى الملتقى الوطني الموسوم بعنوان:

"الدَّرْسُ التّفسِيرِي والْحَدِيثِي عِنْدَ عُلَمَاءِ جَمْعِيَّة العُلَمَاءِ المُسْلِمِينَ الْجَزَائِرِيِّنَ" - الجُهُودُ والمَنَـاهِجُ والاِتِّجاهـات -

والمنعقد يومي: الثلاثاء والأربعاء 25-26 رجب 1445هـ الموافق لـ: 06-07 فيفري 2024م.

بقاعة المحاضرات الكبرى "عبد الحميد بن باديس".

تحت رعاية قسم الكتـاب والسنّة، بكلية أصول الدين،

بجامعــة الأميـر عبد القادر للعلـوم الإسلامية – قسنطينة.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين وحده، والصّلاة والسّلام على من لا نبيّ بعده، وبعد:

لقد كان "الإصلاح" بمفاهيمه العلمية عموما، والاجتماعية والدينية والسياسية بوجه أخصّ، وما يدفع إليه من الأسباب، ويستنهضُه من الظّرُوف والدّوافع، وما يتفرّع عنه من الأبعاد، وينتجُه من المآلات والأهداف، معلمًا بارزًا، وعصبَ حركَة لدى علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعنوان دعوتهم، فمنه منطلقهم وإليه دعوتهم، وعليه تألّفت مناهجهم، والتقت اتجاهاتهم، وتآلفت فيه قلوبهم.

فالمتأمّل لنشاطات علماء الجمعية ورجالها من حيث جهودهم المكتوبة -مقالات وكتب ومنشورات-، وما سجّل التاريخ لهم من السِّيَرِ والمواقف، ليلحظ جليا صدى أثر هذه الدعوة الإصلاحية، متخلّلا بين خطابات علمائها، ولا مبالغة في القول أنه: متضمَّن بين حروفها وكلماتها، فلم تغب عنهم مبادئه والدعوة إليه، ولم يكونوا غُيَّبا عنه في ظرف أو زمن أو لحظة أو موقف ما.

كل هذا يجعل القارئ متطلّعا إلى قراءة وصفيّة دقيقة أولا، وتحليليّة تبعا، يستلهم من تجارب الإصلاح ودعواته، ما يؤهله لخدمة نفسه، ودينه، ووطنه، وأمته.

إنني أجد نفسي - بهذه المداخلة – أحاول بيان معالم هذا الاتجاه الاصلاحي وأهميّته لدى علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في بناء هذه الدعوة الإصلاحية، ومدى استثمارهم لكل من "القرءان" و"السنة"، تفسيرا وفهما، تنزيلا وعملا، وما يتصل بهما من المعارف والعلوم، ويتعلق بها من الفهوم، ...مما جعلني أنتخب لهذه المداخلة عنوانا وسمته بقولي: **"مَعَالم الاتجَاه الإصلَاحي من خلَال استثمَار الدَّرس التَّفسيري وَالحَديثي لدَى جَمعيَّة العلمَاء المسلمينَ الجَزائريينَ"، مجلَّة "السنَّة" و"الشَّريعَة" و"الصّرَاط"- أنموذجا-.**

ولمّا كان تاريخ الجمعيّة يزخر بتراث علمي ومعرفي واسعين، ويحفل بمواقف امتزجت بظروف -يتعلق بها بعضها، كالوطن وبناء أهله وإرشادهم وتعليمهم، وتؤثر فيها ظروف غيرها كوطأة الاستعمار، وإدارته الفرنسية، وما ينتج عنه من آثار وعواقب، ....قمت بقصر الدراسة لهذا الاتجاه على بعض معطيات الموضوع، فكان منحصرا في "الدرس التفسيري"، و"الحديثي"، واخترت للدلالة على وجوه هذا الاستثمار ومظانه وتطبيقاته بعض آثار الجمعية مما له صيت ذائع، وآثار تعكس هذا الاصلاح دينيا واجتماعيا وسياسيا، كل من جريدة "السنة"، و"الشريعة"، و"الصراط"، كنموذج أمثل به لمعالم هذا الاتجاه.

إشكالية الموضوع:

تتحدّد إشكالية هذه المداخلة بمحتوى ما تضمنته هذه الجرائد من الجهود الإصلاحية، من حيث تناولها للدرس التفسيري والحديثي، إذ تطرح جملة من الأسئلة، مفادها: ما هي حدود ومزايا استثمار الدرس التفسيري والحديثي، شكلا ومضمونا، منهجا واتجاها، وهل تمكننا هذه المزايا من التمثل والتحقق المبلّغ لهذا الإصلاح في ما يستجد من قضايا العصر الحديث والواقع المعيش؟، ثم لماذا اختير التفسير والحديث كأهم علوم النهضة والقوة والدفاع عن المسلم الجزائري، وهويته ووطنه؟، ومن خلال ما سبق فإلى أيّ مدى يمكن القول بصواب هذه المنهج أو الاتجاه الإصلاحي؟، وما هي الآفاق المرجو تحقيقها على الفرد والمجتمع الجزائري المسلم؟.

ففي هذه المداخلة – وعلى قدر الوسع والطاقة – حاولت الإجابة على ما أجمل من أسئلتها، وما يتصل بها من الإشكالات أو يتفرع عنها، مدعما بجملة من النّصوص والشواهد والأدلة والأمثلة التطبيقية من مصادر الجمعية وتراثها عموما، وجرائدها الثلاث بوجه أخصّ.

دوافع كتابة هذه المداخلة:

اتحدت لديّ جملة من الدوافع مكنتني من الكتابة في الموضوع، أهمها وأظهرها:

أولا: الحاجة الشخصية، والرغبة الذاتية، والتي يمثلهما الاتصال الوثيق بموضوع الاصلاح، من خلال التدريس المسجدي والجامعي، والشعور بفرض القيام به وجوبا عينيا، إذ يعدّ همًّا نفسيا، وشعورا متجدّدا لديّ، يضاجعني منذ أمد بعيد، نتيجة خوض غمار شؤون الإمامة والتعليم المسجدي من جهة، وكذا البحث في آليات تجديد الخطاب الديني وسبل النهوض به، ....فلم أجد ما يعين على هذا غير جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ثانيا: محاولة الاستفادة من تجارب السابقين في نشر الدعوة الإصلاحية، استفادة عملية، تجيب عن أسئلة عوائق طريق الإصلاح، نظرا لما يقع بيننا وبين علماء الجمعية من شبه الهوية ومقتضياتها، كوحدة الوطن، والمصلح والمصلَح، واتحاد الواقع، وتجعل من قادة الإصلاح الحديث والمعاصر، رجالا مؤهلين لجليل هذه المهمة وعظيمها.

ثالثا: تفنيد مقولات التخوين العقلي والفكري المعاصرة تجاه أعلام أو فكر جمعية العلماء المسلمين، والتي تمثل تطرفا فكريا في استبعاد جهود رجال الإصلاح فيها، ....وعزلهم عن الواقع، فهذا مما يعسُر على العقل الناظر أو المتأمّل إدراكه، أو على الأقل قبوله.

رابعا: محاولة إثراء وخدمة هذه الجهود بدراسات أكاديمية، والنهوض بها ، إذ وجدت المشاركة في الملتقى بهذه المداخلة تمكن من تجاوزي لهذه الجهود من مجرد المطالعات العابرة، إلى حقيقة الدرس الأكاديمي الوصفي والتحليلي النقدي، يقينا مني بهدف الدراسة وآفاقها.

فتناول الموضوع من قبل قسم "الكتاب والسنة" برؤية علمية أكاديمية، عبر ملتقى وطني، يناقش فيه المختصون قضاياه من زوايا مختلفة،... جعل الرغبة مني ترتقي إلى ضرورة وحاجة علمية راجحة، مكنتني من كتابة هذه المداخلة، بعد أن اجتمعت بها جملة الدوافع السابقة.

فهذه "الأربع" أراها الأهمّ من الدوافع والأسباب، وإلا فالمهمّ منها من غيرها كثير جدا.

أهداف المداخلة:

يمكن القول أنني أسعى بهذه المداخلة إلى تحقيق جملة الأهداف، أهمها:

1- التعريف والتعرّف على جهود جمعية العلماء المسلمين العلمية والفكرية، وبيان معالمها الإصلاحية، سواء ما تعلق منها بالقرءان أو السنة.
2- الوقوف على سير رجال الفكر وأعلام الدعوة والإصلاح في تاريخ الجزائر.
3- الكشف عن مناهج وآليات توظيف الدرس التفسيري والحديثي لدى علماء الجمعية في الخطاب الدعوي المعاصر.
4- الكشف عن تاريخ الصحافة الإصلاحية في الجزائر، وتطوراتها المختلفة.
5- الكشف والاطلاع على نوازل الدعوة ومشكلات الإصلاح والتربية، وبيان آليات التجاوز الحقيقي لها.
6- رصد كل مظاهر التنوع والتعاون العلمي والفكري، في خدمة الدين والوطن، مع توسيع دوائر الاستفادة منه.

منهجية عرض موضوع المداخلة:

انطلاقا مما سبق وبناء على ما أفاده عنوان المداخلة ركزت في بناء الموضوع وعرض مادته – سوى المقدمة- على مطلبين، صدّرت الأول منها بمدخل وصفي تعريفي للجرائد الثلاث من حيث نشأتها ودوافعها، وثنيت بـ "الدرس التفسيري والحديثي" واستثمارهما في اتجاه الجمعية الإصلاحي، وثلثت بخاتمة عرضت فيها أهم نتائج البحث.

المطلب الأول: "الجرائد الثلاث" التعريف والمضامين والأهداف:

لم تكن "الجريدة ولا المجلة"، ولا الكتابة أو الكتاب بمعزل عن الفكر الإصلاحي لدى علماء جمعية العلماء

المسلين الجزائريين، فهي العصب والروح، وهي الوسائل الأكثر حظوة بالقبول والفاعلية آنذاك، فقد عرفت الجمعية في مسارها عددا هائلا من الجرائد والمجلات، من أشهرها "المنتقد" و"الشهاب"، و"البصائر"...، كلما صادرت الإدارة ومن يليها مجلة أو جريدة إلا وكانت اللاحقة أسرع من سابقتها وأكثر حظا ووجودا وانتشارا وهدفا، ولم تثن الظروف عزم رجال الجمعية ولا منعت أقلامهم من الكتابة، وما كانت "السنة" و"الشريعة"، و"الصراط السوي"، إلا نموذجا واحدا، تكاد أن تتحد ظروفه، ورجاله ووسائله، وتنتظم أهدافه على ما ترمي إليه الدعوة الإصلاحية لدى الجمعية.

الفرع الأول: تعريف "الجرائد الثلاث:

أولا: "جريدة السنة النبوية المحمدية":

هي إحدى جرائد ولسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتعتبر (أول جريدة تصدرها الجمعية لتكون اللسان الرسمي للناطق عنها، وذلك بعد النجاح الذي حققته في الأوساط الاسلامية الجزائرية، إثر تكونها في ماي 1931م[1]، وقد ظهر العدد الأول منها بمدينة قسنطينة، حيث كانت تطبع بالمطبعة الاسلامية الجزائرية، وهو مؤرخ في أول مارس سنة 1933م، على أن تصدر كل يوم الاثنين، وجاء في شعارها الذي يتكون من آية قرءانية، وحديث نبوي، قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: 21][2]، ، وقول الرسول"صلى الله عليه وسلم": (من رغب عن سنتي فليس مني)[3])[4].

فلم يكن إصدار الجمعية لجريدة "السنة" ولا أخواتها من الجرائد والمجلات، ضربا من الفضول أو مجرد التوثيق التاريخي، أو مسايرة لواقع اجتماعي ما، وإنما كان إصدارها لدوافع عديدة، أهمها وأظهرها – وهو ما تؤكده كثير من الكتابات حول الجمعية وجريدة السنة- أنها قامت على أنقاض النشاط المعادي لها لمن انشق عنها.

وهو ما يذكره الكاتب "محمد ناصر" بقوله: (ونحسب أن الدافع الحقيقي لإبراز هذه الجريدة، هو الوقوف أمام

---

[1] هذا تاريخ تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

[2] أشارت الجريدة في صفحتها الخامسة من عددها الرابع، إلى أنه طبع غلطا في رأس الأعداد الثلاثة الأولى، و: (ولكم في رسول الله إسوة حسنة) ورجت من جمهور قرائها تصحيحها بالقلم في جميع الأعداد بلفظ الآية: (لقد كان لكم) الخ)،

[3] أخرجه البخاري ومسلم

[4] محمد ناصر، تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، ج1، ص199-200 .

النشاط المعادي للعلماء، الذي بدأت تطبقه "جمعية علماء السنة"، المنشقة عن جمعية العلماء من سبتمبر 1932،[5] وليس أدلّ على نيتها هذه اتخاذها اسما لها "السنة النبوية"، وهو تعريض واضح لمن أطلقوا على أنفسهم "علماء السنة"، وهم يسيرون في ركاب الاستعمار، وهو يدل -أيضا- على الغاية التي من أجلها أسست هذه الحركة الإصلاحية عند بروز "المنتقد" سنة 1925م...)[6].

إن مثل هذه المعارضات وما يحصل منها من صور الانشقاق في العمل الدعوي أو الإصلاحي، لا يمكن كفّ توسعه، أو الحدّ من امتداده، إلا بما يساويه أو يتجاوزه عدة وعتادا، قولا وفعلا، فمعارضة جمعية "علماء السنة"، للاتجاه الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، - وإن أثّر في مسارها – إلا أن الجمعية استطاعت تجاوزه على نحو أكبر وأكثر من ذي قبل، وبما يضمن لها بمواصلة العمل الدعوي والإصلاحي بشكل أوسع وأدق وأعمق، خصوصا بعدما عنّ لها هدفها ورجالها وأساليبها، وموالاتها للإدارة الفرنسية ومن يليها، وغدا معلوما لكل أحد ما تصبو إليه[7]....

وقد صدر منها ثلاثة عشر عددا، تحت إشراف "عبد الحميد بن باديس"، ويرأس تحريرها الأستاذان: "الطيب العقبي، والسعيد الزاهري"، وكان أول عدد منها يوم الاثنين 08 ذي الحجة 1351هـ، الموافق لـ: 10 أفريل 1933م بقسنطينة، وآخر عدد منها يوم الاثنين 10 ربيع الأول 1352هـ، الموافق لـ: 03 جويلية 1933م.

ثانيا: "جريدة الشريعة":

وهي ثاني جرائد الجمعية التي صدرت عقب تعطيل وزارة الداخلية لجريدة "السنة"، وهو ما أفصح عنه "ابن باديس"، في مقاله الافتتاحي الموسوم بعنوان: "تعطيل السنة وإصدار الشريعة"، وقد ثرّب فيه على الإدارة وقراراها الجائر ضد الجمعية سلفا، وعلى تعطيل "السنة" تبعا، مؤكّدا غايتها النبيلة في تهذيب الشعب وتربيته، وأنها دينية تهذيبية بعيدة عن كلّ سياسة، وأنها لا تخالف رؤية فرنسا إن كانت هذه الأخيرة ترى تهذيب الشعب الجزائري وتربيته -أيضا-[8].

وتضمنت الجريدة شعارا يتكون من آية على يمينها، وهي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾ [الجاثية: 18]، وحديثا نبويا على يسارها وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (فمن رغب عن سنتي فليس مني).

---

[5] وهؤلاء المنشقون بدورهم قاموا بنشر جرائد تخدمهم كـ "المعيار"، و"الإخلاص"

[6] المصدر السابق، ج1، ص200.

[7] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص101، وج5، ص253.

[8] ينظر: المقال الافتتاحي لجريدة "الشريعة المحمدية"، العدد الأول، ص1-2.

ولم يصدر منها سوى سبعة أعداد، تحت إشراف "عبد الحميد بن باديس"، ويرأس تحريرها الأستاذان: "الطيب العقبي، والسعيد الزاهري"، وكان أول عدد منها يوم الاثنين 24 ربيع الأول 1352هـ، الموافق لـ: 17 جويلية 1933م بقسنطينة، وآخر عدد منها يوم الاثنين 07 جمادى الأولى 1352هـ، الموافق لـ: 28 أوت 1933م.

ثالثا: "جريدة الصراط السوي":

يمكن القول أنها "الصراط السوي" ما هي إلا "الشريعة المحمدية"، ولم تخالفها رؤية وفكرا ورجالا وقراء، وشعارا وإشرافا، وتحريرا، إلا ما كان من قبل اسمها فقط، فعلى إثر قرار تعطيل السلطة لـ: "الشريعة المحمدية"، المتزامن مع تصريحات سمو الوالي العام (م. كارد) للنائب الحر الصادق السيد حمودو شكيكن في شأن جمعية العلماء المسلمين وأعمالها ورسالتها الدينية الإصلاحية، مما دفع بـ "ابن باديس" إلى كتابة مقال في العدد الافتتاحي لـ " الصراط السوي"، بعنوان: "هذه التصريحات وتعطيل "الشريعة" كيف نجمع بينهما؟، مشيرا إلى تناقض السلطة والإدارة فلسان حالها يمدح الجمعية ونشاطها، وواقعها يؤكد تعطيلها، فتبين للجمعية: (أن طلب تعطيلها كان من صدور أول عدد منها وتبين أن ذلك الطلب كان قبل أن يتوجه جناب الوالي العام بنفسه لمعرفة الحقائق ودخائل الشؤون الجزائرية بعد ما قدمته الأخيرة من فرنسا، وأما التصريحات فكانت بعد ذلك التوجه وتلك المباشرة، فلم يبق من تناقض – إذا – بين تعطيل "الشريعة"، وتصريحات جنابه)[9]

ثم يختم بقوله: (...ولقد كنا نعلم أن ذلك التعطيل ليس مما يدوم الإصرار عليه من الرجال العظام، وقد جاءت تصريحات جناب الوالي مصدقة لما قدرناه وها نحن اليوم نبرز جريدة "الصراط السوي" تسير على خطة سالفتيها، وتسعى إلى غايتهما، من نشر العلم والخير وخدمة الصالح العام، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل)[10].

ومقصوده بـ (سالفتيها)، كل من جريدتي "السنة"، و"الشريعة"، وفيه إشارة إلى وحدة الرؤية والهدف والسعي نحوها، مع ضرورة تنوع الوسائل والأسباب، وسرعة تدارك الأمور أمنا لها من عواقب التعطيل سواء لما تفعله السلطة وقراراتها، أو لما يؤول إليه الشعب الجزائري.

وتضمنت سبعة عشر عددا، تحت إشراف "عبد الحميد بن باديس"، ورئاسة تحريرها من قبل الأستاذين: "الطيب العقبي، والسعيد الزاهري"، وكان أول عدد منها يوم الاثنين 21 جمادى الأولى 1352هـ، الموافق لـ: 11

[9] الصراط السوي، ع1، ص2

[10] المصدر نفسه،ع1، ص2.

سبتمبر 1933م، بقسنطينة، وآخر عدد منها يوم الاثنين 15 رمضان 1352هـ، الموافق لـ: 01 جانفي 1934م.

وأما شعارها فأبقي على شعار سابقتها، غير أنه أضيف إليه وسَطًا قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [طه: 135]، وإضافة الآية على هذا النحو مشعر بما مسّ الجريدة من سوء قرارات الإدارة، وما يكيد لها المتربصون، وأنها – رغم ذلك كله- ترى العاقبة لها، والخاتمة الحسنى لنشاطها، فـ "الأعمال بالخواتيم"[11].

وعند حديثنا عن قرارات الإدارة الفرنسية ومن يليها القاضية بتعطيل جرائد الجمعية ومجلاتها الواحدة تلو الأخرى، يجدر بنا التنبيه إلى أن "التعطيل" هدي هذه الإدارة وسياستها، وهو الأسلوب المنتهج على جميع النشاطات والدعوات والأعمال، قديما وحديثا، للجمعية أو من يحذو حذوها، نظرا لما تقوم به من التأثير في بناء الفرد المسلم الجزائري، وهو ما يفسر كثرة هذه الجرائد والمجلات، وقلة أعدادها مع تتابعها وتواليها...[12].

فاعتراض السلطة الفرنسية لهذه الجرائد الثلاث وتعطيلها وتوقيفها بقوة، يمكن تصنيفه ضمن مشروع "اضطهاد الصحافة" بشكل أو آخر، فاتحاد الثلاث في الرؤية والفكر والرجال والدعوة، حمّل الثلاث نفس المصير والألم وعايشت الصراع نفسه، وقد شكا "الاضطهاد" في مقامات مختلفة، أكثر علماء الجمعية، وعلى رأسهم كل من "ابن باديس"، و"السعيد الزاهري"، و"أبي اليقظان"، و"الابراهيمي"[13]...

ولم يكن أثر هذه الجرائد الثلاث رهين بلاد الجزائر أو شعبها، وإنما تلقته باقي الأوطان العربية والاسلامية بالقبول، مما دفع برجال الجمعية باختيار نقاط طلبها وبيعها بأغلب ولايات الوطن الداخلية، وبعض البلاد المجاورة كمدينة "فاس" و"سلا"، بالمغرب، وبعض مدن "تونس"، وغيرها[14]....

كما تجدر الإشارة إلى أن تعطيل السلطة لأي واحدة من الجرائد الثلاث، لم يثر حفيظة علماء الجمعية فقط، بل تعداه إلى جمهورها الواسع، والذي قابل التعطيل بالاحتجاج والتظاهر في أكثر ربوع الوطن، معتبرين هذا الصنيع نوع صدّ عن الديانة الإسلامية، وأنه طريق موصل إلى المساس بالعلائق الإسلامية الفرنسية،....وأن خير الأمر

---

[11] إشارة إلى حديث النبي "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ": «إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ»، أخرجه البخاري.

[12] ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1900-1930، ج2، ص398-399

[13] ينظر: مراد مزعاش، جهود جمعية علماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية 1931هـ-1954م،ص159-160.

[14] ينظر: السنة النبوية، ع4، ص5، وع6، ص7.

ما تراجعت السلطة وإدارتها عن مثل هذه القرارات من التعطيل والتوقيف...[15]

الفرع الثاني: شعارات الجرائد:

لقد سبق الحديث بتفصيل عن شعار كل جريدة على حدة، غير أنني هنا أشير إلى مضمون ما تضعه الجمعية من شعارات في كل أعمالها ونشاطاتها الدعوية والإصلاحية، وكلها وإن اختلف لفظا ومبنى فإنها تتحد منهجا ورؤية، وواقعا وعملا، ووسيلة وهدفا، بل ألما وأملا.

ف (شعارات الجرائد تشير إلى مبادئها والمراحل التي تقوم بها وأهدافها، وما يكتب فيها يواكب التطورات، فقد صدرت "الشهاب" في أول الأمر تحمل هذه المبادئ: "مبدؤنا الإصلاح الديني والدنيوي، لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، وتحته مباشرة (الحق والعدل والمؤاخاة)، في إعطاء الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات"، ...)[16].

ولم تعزل الجرائد ولا المجلات وما تتضمنه عن واقع أصحابها، ولا ظروفهم المحيطة بهم، وكذلك ما تحمله من الشعارات، وإنما وضعت لدلالات يمكن القول أنها تمثل المنهج والاتجاه والتصور والغاية والهدف، ولا مبالغة قولنا أنها تحدد مراحل التطور قوة وضعفا، ف "ابن باديس": (إنما يشير بهذا الشعار إلى المرحلة السياسية التي كان يطمح فيها الجزائريون أن تقدر فرنسا مساعداتهم التي قدموها إبان الحرب العالمية الأولى، أما أركان الغلاف الأربعة فكانت تحمل الكلمات التالية: "الحرية، العدالة، الأخوة، الإسلام"..)[17].

ومن جميل دلائل وحدة الجرائد الثلاث أن قامت "دار الغرب الإسلامي" بطباعتها على نسق واحد، في أجزائها الثلاثة، مع المحافظة على شكل إخراجها الصحفي المطبوعة به أول الأمر.

الفرع الثالث: مضامين الجرائد الثلاث وأهدافها:

لم تكن مضامين هذه الجرائد الثلاث وأهدافها وبرامجها بعيدة عن البرامج والمضامين المسطرة من قبل علماء الجمعية في قانونها الأساسي الموضح لمبادئها الإصلاحية، مما يتعلق بمبادئها الإصلاحية فقط، لا المالية والإدارية منها[18]، ولعل في ذكرنا لميزتين أو ثلاث من مزاياها يكشف لنا مضامينها وهوية أهدافها، ومن ذلك:

---

[15] ينظر: الشريعة، ع1، ص5.

[16] محمد ناصر، تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، ج1، ص199-200

[17] المصدر نفسه-200

[18] ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية، 1900-1930، ج2، ص433-436.

1/ خدمة القرءان والسنة:

وذلك من خلال دعوة الشعب الجزائري إليهما تعريفا وإرشادا، وعملا وتمثلا، وفهما وسلوكا، فلا يتأكد تحرير الأوطان مما يفسدها أو يهددها إلا بالتمسك بالأصلين العظيمين، فإنهما أعظم وسائل تحرير العقل البشري، ومتى تحرر العقل تحرر ما يتصل به ويحمله من جسد وقلب، ووطن وأسرة، وفهم وتصوّر، وهذه حقيقة البناء بنوعيه الانساني والوطني، فإنه يؤتي أكله متى كان مصدرا ببناء ديني صحيح خالص.

وسؤالنا –هنا- لماذا جعل القرءان والسنة أهم مرتكزات العمل ومبادئ الجمعية؟، وجوابنا: أنهما محورا العملية والفكر الإصلاحي، وإليه مرد المنهج والاتجاه، ولتقل تبعات الإصلاح، وليكون العمل مسددا، ولأنهما –أي القرءان والسنة- يمثلان: (المفاهيم الصحيحة للإسلام، والرافضة بالضرورة لكل البدع والخرافات التي غمرت المجتمع الإسلامي عامة)[19].

إنها قناعات إيمانية رزقها علماء الجمعية، وفطر سوية ولدوا بها، ومعايشات نفسية وروحية أو توها، ونتائج عقلية وإحساسات قلبية ابتلوا بها، ووطنية ألبسوها، وحقائق رسوا عندها، وأهداف رجوها[20].

إن قول "ابن باديس" في المقال الافتتاحي: (....فأخذنا على أنفسنا دعوة الناس إلى السنة النبوية المحمدية وتخصيصها بالتقديم والأرجحية فكانت دعوتنا – علم الله- من أول يوم إليها والحث على التمسك والرجوع إليها،...)[21]، وقوله – أيضا-: (وقد زدنا من فضل الله أن أسسنا هذه الصحيفة الزكية، وأسميناها "السنة النبوية المحمدية لتنشر على الناس ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سيرته العظمى وسلوكه القويم وهديه العظيم الذي كان مثالا ناطقا لهدي القرءان وتطبيقا لكل ما دعا القرءان إليه بالأقوال والأفعال والأحوال....)[22]، وإشارته إلى منهج التعامل مع السنة: (...فها نحن اليوم نتقدم بهذه الصحيفة للأمة كلها على هذا القصد وعلى هذه النية: عملنا نشر السنة النبوية المحمدية وحمايتها من كل ما يمسها بأذية، وخطتنا الأخذ بالثابت عند أهل النقل الموثوق بهم والاهتداء بفهم الأئمة المعتمد عليهم ودعوة المسلمين كافة إلى السنة النبوية المحمدية دون تفريق بينهم وغايتنا أن يكون المسلمون مهتدين بهدي نبيهم في الاقوال والأفعال والسير والأحوال

---

[19] ينظر: أحمد شرفي الرفاعي، مقالات وآراء جمعية العلماء المسلمين "العربي التبسي"، ج2، ص6-8.

[20] ينظر: مقال: فتيحة نعيمي، كيف نستثمر المخزون التاريخي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنشور ضمن أشغال الملتقى الوطني الخامس للفكر الإصلاحي في الجزائر، ص247-256.

[21] السنة، ع1، ص1.

[22] المصدر نفسه، ع1، ص8.

حتى يكونوا للناس كما كان هو صلى الله عليه وعلى آله وسلم مثالا أعلى في الكمال)[23].

2/ إذاعة الفكر الإصلاحي:

والحق، أن "الفكر الإصلاحي" مشترك مع سابقه، أي: خدمة القرءان والسنة، وربما تتجسد آثاره من خلال استثمار علماء الجمعية للأصلين العظيمين، القرءان والسنة، فهذا من ذاك.

لقد بدت الفكرة الإصلاحية وشعّ نورها على نحو وشعور فردي، حمله قلب وعقل "ابن باديس" – رحمه الله تعالى-، فقد فكر كثيرا في الكلمة المنسوبة إلى الإمام مالك رحمه الله تعالى: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)، فاستنتج منها دستوره الإصلاحي الديني والاجتماعي معا، ولم تحيره نقطة الانطلاق، ولم يخف عجزا ولا كسلا، وإنما تصدر المهمة وتقبلها بصدر رحب، لما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة: 122]، فكان "ابن باديس" واحدا من هؤلاء[24]،...وتبعه على ذلك رفقاؤه وإخوانه الإصلاحيون[25].

وللإشارة فالبعد الإصلاحي لم يكن موقوفا على الدين فقط، ولكن يجعل من الدين منطلقا إلى إصلاح ما سواه وما حوله من مناحي الحياة، فيشكل في حاجة الأمة الضرورة والأهم، ويشكل غيره المهم منها، الأمر الذي أشار إليه "الطيب العقبي" في سياق حديثه عن حاجة الأمة إلى الاصلاح بقوله: (فإن الأمة في حاجة وضرورة إلى الاصلاح لا من ناحية الدين فقط بل في مناحي شتى وجهات عديدة، ولكن ناحية الدين عندنا أهم من كل ناحية لأنها إذا صلحت في دينها وصلحت في عقائدها أمكنها أن تصلح في كل أعمالها كما تصلح في دنياها ولله الأمر من قبل ومن بعد)[26].

وكان أهم ما ميز "الدعوة الإصلاحية" في الجرائد الثلاث[27]:

---

[23] المصدر نفسه، ع1، ص8,

[24] ينظر: محمد بن أحمد يكن المنصوري الغسيري، صور من حياة ونضال الزعيم الإسلامي والمصلح الديني الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس، ص77 وما بعدها.

[25] ينظر: مقال: رابح رباب، منهجية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الإصلاح سنوات: 1919-1954م، المنشور ضمن أشغال الملتقى الوطني الخامس للفكر الإصلاحي في الجزائر، ص185-192. وللتوسع ينظر: أشغال الملتقى كاملة، وأبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ص390 وما بعدها.

[26] السنة، ع5، ص2.

[27] ينظر: أحمد شرفي الرفاعي، مقالات وآراء جمعية العلماء المسلمين "العربي التبسي"، ج2، ص6-8. ومقال: التركي باهي، الإمام عبد الحميد بن باديس مجدد الأمة، من أشغال الملتقى الوطني الخامس للفكر الإصلاحي في الجزائر، ص193 وما بعدها،

1/ شمولية الإصلاح من حيث مضمونه وموضوعه:

كان الإصلاح متضمنا كافة مناحي الحياة، وأصحابها، فشمل المصلحين أنفسهم، والقيادات الدينية والفكرية التقليدية وعلى رأسهم شيوخ الطرق والزوايا، وكذلك المستعمرين ومن يليهم ممن يخدم فكرهم من أهل الفرق والبدع والفساد والإجرام ومن يخدم مصالحهم،...ولذلك تنوعت القضايا التي قامت الجمعية بإصلاحها عبر مقالاتها الإصلاحية في الجرائد الثلاث.

2/ شمولية الإصلاح من حيث وسائله وآلياته:

تعد "الصحافة المكتوبة" أحسن ما استخدم لصالح الحركة الإصلاحية سواء في الجزائر أم خارجها، لذلك استغلت الجمعية كافة الوسائل والآليات الصحفية والإعلامية المتاحة، والتي تؤدي في الوقت نفسه دورا كبيرا يدعم منهج الجمعية ودعوتها، وهذا غير خفي على أحد مما يألف القراءة والمطالعة لأمر جلل، وحدث عظيم، لذلك تطورت الصحافة الإصلاحية تطورا ملحوظا، ساهم في إثارة حفائظ المستعمر ومن يليه. وربما كانت الجريدة هي الوسيلة العصب في تشكيل وعي الجماعة ورصد أهداف الاتجاه الإصلاحي، الذي نجح في تطويع الشعب وإيصال خطابه إليه.

ومثل هذا -إن دلّ على شيء- إنما يدل على فهم واقعي لطبيعة العمل وما يستخدم فيه من الوسائل وبدائلها، ومن ثم استغلالها على نطاق واسع، تلك هي مهمة تسخير كل الوسائل لغرض واحد، فمبدأ الجريد أو الصحف لم يكن أول مبادئ الجمعية ولكنها استغلته كوسيلة وقتية أو تعاملت معه لواجب الوقت، ومحاولة تطويع الوسيلة تجاه الغاية، وهو ما بينه الخطيب السلفي رئيس لجنة العمل الدائمة للجمعية الشيخ "أبو يعلى الزواوي" بقوله أنّ: (الجرائد من ابتداع أوروبا وسننها فتبعناهم في ذلك وجعلوا لها قوانين فشملتنا معهم تلك القوانين النافعة والضارة ثم إن مطبوعات وطننا الجزائر لها حكم استثنائي بأن تكون مثل المطبوعات الفرنسية في المضرة ودونها في المنفعة وهذا واضح معروف لا ينكر، وقد اشتهر بلدنا هذا بالأحكام الاستثنائية ولبئست الشهرة هذه،....)[28].

ومع هذا إلا أن الجمعية أحسنت الاستفادة من معطيات الوقت ووسائل الآخر وتطويعها للصالح والأصلح ولهذا قال "العربي التبسي" بعد أن بين هدف الجمعية من إصدار هذه الجريدة وإمكانية خدمة الاسلام بها على نطاق واسع بقوله: (ولو أن الاسلام له رجال يعنون به لكانت له صحف تدعو إليه في الأوطان

[28] السنة، ع1، ص6-8,

الاسلامية، وخارجها، ولكن متزعمي المسلمين قد ألهتهم شهواتهم وشغلتهم حظوظهم عن خدمة الدين.....)[29].

وهي القضية التي فهمها كثير من رجال الجمعية وعلمائها وعلى رأسهم "أبو اليقظان"، فقد عود أصحابه – كما وصفوه – أنه: (العامل الذي لا تصده النكبات والصحافي الذي لا تقطعه عن الصحافة توالي التعطيلات)[30]. وهذا حينما بلغ الجمعية خبر توقيف السلطة لجريدة النور، لأن الجمعية كانت تحارب من الداخل والخارج ومن داخل محاربة السلطة القائمة آنذاك في الجزائر بمقاطعة المساجد ومنع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من القيام بمهمة الوعظ والارشاد في المساجد، القرار الذي استنكرته الأمة العربية بمظاهرتين في الجزائر، وتحديدا منع الشيخ الطيب العقبي في مساجد العاصمة، في فيفري 1933م، والثانية في مارس، ثم لجأ المسلمون إلى مقاطعة المساجد الجامعة للجماعات والجمعة...)[31].

وهذا مظهر من مظاهر تطور الصحافة الإصلاحية في الجزائر، ولدى جمعية العلماء المسلمين بوجه أخص، فأغلب جرائدها وصحفها ومجلاتها كانت إصلاحية، وهو الفارق الجوهري بين صحافة الجمعية وصحافة غيرها، الذي جعل من "السنة" و"الشريعة" و"الصراط السوي" مظهرا مستقلا عن غيره من مظاهر الإصلاح المزعوم...[32]

المطلب الثاني: الدرس التفسيري والحديثي وتشكل الاتجاه الإصلاحي:

ساهم كل من الدرس التفسيري والحديثي في تشكل الاتجاه الإصلاحي للجمعية، ولا أدلّ على ذلك من استجلاء أهمية القرءان والسنة وما يتصل بهما من الفهم والفقه، وطرائق التعامل ومحالّ الاستشهاد بهما، وجهود علماء الجمعية في نشرهما، من خلال مقالات الجرائد الثلاث.

إننا نقصد بعنوان هذا المطلب: "الدرس التفسيري والحديثي وتشكل الاتجاه الإصلاحي"، رصد كل معالم وصور ومناهج تعامل علماء الجمعية مع القرءان والسنة، -وبعبارة أخرى -إنما هي عملية رصد واستقراء لها من خلال هذه الجرائد الثلاث، علما أن قصر الاستقراء عليها لا يمكننا منها إجمالا، لكثرة صحف وجرائد الجمعية، ولكن يمكننا إلى حد بعيد من رصد شيء منها تقوم به الدلالة ويتحقق به المقصد.

تتجلى مظاهر استثمار الدرس التفسيري والحديثي من خلال:

---

[29] المصدر نفسه، ع2، ص3.

[30] المصدر نفسه، ع2، ص5.

[31] وينظر: مقال: كنزاري محمد فوزي، وبومنجل فوزي، الحركة الإصلاحية الجزائرية واعتمادها على الصحافة المكتوبة، ضمن أشغال الملتقى الوطني الخامس للفكر الإصلاحي في الجزائر، ص267-273. المصدر نفسه ع2، ص3، و5.

[32] ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص250-258.

أولا: تعظيم الأصلين العظيمين "القرءان والسنة":

لم تقتصر مكانة القرءان والسنة لدى علماء الجمعية على مجرد الوصف بحفظهما غيبا، أو تحصيل شرف الانتساب إليهما، دون التحقق بمضامينهما منذ نعومة الأظافر، ولم تقتصر دعوتهم إليهما دون فقه وفهم وتدبر ما جاءا به، فأما القرءان فيقول عنه "الطيب العقبي": (وليس علم القرءان وتعليمه عبارة عن حفظه ألفاظا ونقوشا وتلقينه كذلك للتلامذة والقراء، ولكن علم القرءان هو علم كل شيء نحن في حاجة إليه ومعرفة كل ما به سعادة الدنيا والآخرة، "ما فرطنا في الكتاب من شيء" والتخلق بخلق القرءان ذلك الخلق العظيم، وإن من لوازم علم القرءان الاعتماد على فهمه وتفسيره على سيرة وعمل من نزل عليه وأمر بتبليغه فكان خير مفسر له وعامل به "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم" فمن أخذ بهذين الأصلين وسار في طريق هدي إليه كل منهما قولا وعملا فقد صلح في نفسه لمعاملة ربه ومعاملة بني جنسه وساغ له أن يكون من المصلحين ....)[33].

ثانيا: الدعوة إلى العمل بهما:

وهذا ملمح غني عن البيان والدلالة عليه لدى علماء الجمعية، وصوره عديدة، منها ما ذكره "العربي بن بلقاسم التبسي" في مقاله "هذه جريدة السنة يا أهل السنة"، إذ بين أن رجال الإصلاح عموما والجمعية بوجه أخص يقع عليهم واجب الدعوة إلى السنة والبلاغ وخدمتها وتعريفها إلى الناس جميعا، بقوله: (ولم تبرز الجمعية هذه الجريدة حتى استيقنت أن إبرازها لهذه الجريدة دين للسنة يجب عليها أن توفيه وأن تعجل به وإلا كانت هذه الجمعية غير وفية للسنة بقول نبينا عليه الصلاة والسلام في حديثي: (بلغوا عني بلغوا عني ونضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فربّ مبلغ أوعى من سامع)، وأعضاء الجمعية بما أنهم قد تلقوا سننا وتفهموا آثارا، وأحسنوا تأويلها وتخريجها رأوا أن الامتثال للأمر المستفاد من الحديثين المارين الدال أحدهما على الطلب بصيغة والآخر بالثناء المستطاب على من سمع مقالة نبينا عليه الصلاة والسلام وبلغه، يوجب عليهم إصدار صحيفة تنفيذا لهذه الوصية التي توجب علينا تبليغ مقالة نبينا محمد صلى الله علية وسلم...)[34].

ثالثا: كثرة التضمين للآيات القرءانية والأحاديث النبوية:

ويجليه مظهران، **أحدهما:** حسن التمثيل والاستشهاد بهما في الخطب والمواعظ وغيرها من المقالات، وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد هذا مألوفا لدى "الطيب العقبي"، فهو إذ يحكي بعض أوضاع الشعب وكيفيات

---

[33] السنة، ع5، ص1.

[34] المصدر نفسه، ع2، ص3.

تمدينه، وتهذيبه، وإصلاحه يقول: (....ونزل بساحتهم من عظيم الويلات والبلايا -الا بما غيروا في أنفسهم وبما أخلفوا الله ما وعدوه، فخلفت فيهم تلك الخلوف تضيع الصلاة وتتبع الشهوات، ....وقد علموا ظاهرا من الحياة الدنيا وكانوا عن الآخرة غافلين..... فاستطار شرهم في البلاد فأكثروا فيها الفساد،....وحسبوا أنهم يحسنون صنعا، ....فيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ، والآخرة خير وأبقى لو كانوا يعلمون ويصطبغون بصبغة هي غير صبغة الله ويقطعون من وشائج هذا الدين كل ما أمرهم بوصله الله، فبدلت الأرض غير الأرض، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، وطال عليهم الأمد وقست القلوب....)[35].

إن كل جملة ساقها في دعوته وخطابه، هي آية في أصلها، فقد ضمن هذه الفقرة من خطابه ما يقارب خمس عشرة آية، شكل منها في موضوع واحد وحدة موضوعية تؤدي غرضا واحدا، وينشد من خلاله إصلاح المخاطبين به.

وأما المظهر الثاني: فهو تضمين عناوين المقالات بالآيات والأحاديث، وهذا قاسم مشترك بين أبرز علماء الجمعية، فقد وضع "مبارك الميلي" عنوانا لمقال أسماه "بيان وإرشاد" وأتبعه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور: 19][36].

ومثله صنيع "الطيب العقبي"، في عنوان له بقوله: (هل نحن في حاجة إلى الاصلاح اليوم أم في غنى عنه)، وأتبع سؤال عنوانه بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود: 117][37]. ونشير هنا إلى ما وقع من تنبيه "جريدة السنة" على ما وقع في الآية من خطأ كتابتها، فقد كتبت في العدد الثالث "مهلك القرى"، والصواب "ليهلك"، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عناية الجمعية بالنص القرءاني والمحافظة عليه مضمونا وشكلا[38].

ومثله -أيضا- عنوان له، مفاده: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)، وأتبعه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النساء: 94][39]. ومثل هذا الصنيع كثر وروده، وتوافرت أمثلته في الجرائد الثلاث لأكثر من عالم ومقال.

---

[35] السنة، ع2، ص9,

[36] المصدر نفسه، ع2، ص4.

[37] المصدر نفسه، ع3، ص2.

[38] المصدر نفسه، ع4، ص5

[39] المصدر نفسه، ع9، ص4.

رابعا: توسيع دوائر الفهم والفقه للقرءان والسنة:

وذلك نتيجة لحسن التدبر، وتوصلا إلى حقيقة العمل بهما، ومثاله ما فعله "العربي التبسي" تجاه حديث النبي "صلى الله عليه وسلم": (نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي، فَوَعَاهَا)[40]، فيذكر أن: (مقالته بمعنى سنته تشمل أقواله وأعماله وتقريراته، وشمائله، ومعلوم بالبداهة أن الأمر المستفاد من الحديثين مطلق غير مقيد بأمة ولا بأرض، ولا بحالة دون حالة، ولا بوسيلة دون وسيلة، ويزيد هذا الفهم تأكيدا ما تلقيناه في كتب الحديث والسير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث الكتب في الدعوة للإسلام، وكان خلفاؤه من بعده يبعثون بكتب إلى ولاتهم بالأطراف يحثونهم على الدين، ويوصونهم بالسنن حتى إن بعضهم أمر عماله أن يجمع له ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحمل الناس على العمل به، وإذا كان الأمر على ما ذكرنا فإن جمعية العلماء التي تعمل لله ولدينه ولإحياء سنة نبيه صلى الله عليه وسلم قد أحييت بإصدارها هذه الصحيفة لنشر السنة وتعليم الأمة السنة)[41].

خامسا: حسن توظيف القرءان والسنة في الخطاب الإصلاحي:

جعل علماء الجمعية كلا من القرءان والسنة سلطانا يعلو الجميع، ولا يعلو عليهما أحد أو شيء، عند إرادة إصلاح المجتمع أيا كان نوع المخاطبين، وموضوع أو قضايا هذا الإصلاح، ودون النظر إلى زمانه ومكانه، وهذا وحده جهد ورؤية كافية لتربية المجتمع على حب الكتاب والسنة والوقوف عندهما، وحمل الناس على العمل بهما والدعوة إليهما، وفي الوقت نفسه السعي نحو نشرها.

إن أول مظهر بلغت فيه الجمعية مبلغا عظيما من استثمار النص القرءاني والنبوي مثلته كل أشكال العناية الفكرية والدينية والتربوية للفرد المسلم، وبمعنى آخر كل ما يساهم في بناء الفرد وإصلاحه، لنأمن صلاحه في أرضه ووطنه، ومع إخوانه وأهله، وأينما حل أو ارتحل.

ومن أمثلته ما قام به "بوزيدي الحسن بلقاسم" -أحد أعضاء الجمعية- في مقاله الموسوم بعنوان: (عليك بخويّصة نفسك)[42]، وهو حديث روي بألفاظ عديدة، عنون به مقاله دلالة على محتوى موضوعه، وقد استطاع بما جمع فيه

---

[40] أخرجه الإمام "أحمد" في "مسنده"، ح(16754)، ج27، ص318.

[41] أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وآراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العربي التبسي، ج3، ص149.

[42] روي بألفاظ مختلفة، وروايات عديدة، منها: "وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسكَ"، و"وَعَلَيْكَ بِخُوَيِّصَتكَ"، و"وَعَلَيْكُمْ بِخَوَاصِّكُمْ"، "وفَعَلَيْكَ خُوَيْصَّةَ نَفْسِكَ"، أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} [المائدة: 105]، ح(4014)، ج2، ص1330.

من الآيات والأحاديث، أن يضع صورة المسلم ذو الفاعلية والتعاون مع وطنه، دون أن يتأثر بما ومن حوله من المفاسد والمنكرات، والمضلين والضلالات.

ومما أورده من الآيات قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [المائدة: 105]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠ ﴾ [الحجرات: 10]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا ﴾ [النساء: 5].

فجمع بين إشاراتها بما يجعل منها معالجة لموضوع واحد، فالآية الأولى عن صلاح الفرد بنفسه، والثانية عن صلاحه ونفعه المتعدي، فمتى كان كذلك عاش المجتمع متراحما، وإذا كان المجتمع كذلك فإنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا يمكنه بحال أبدا أن يضيع مصالحه وحقوقه، أو أن يعطيها لمن لا يستحقها أو لا يحسن التصرف فيها.

وساق في الموضوع من الأحاديث قوله "صلى الله عليه وسلم": (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ، ثُمَّ يَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ)[43]، وحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَٰسِقُونَ ٨١ ﴾ [المائدة:78-81]، ثُمَّ قَالَ: «كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا)[44].

وكذلك حديث "النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ" رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا)[45].

والعلاقة بين هذه الحديث ظاهرة جلية، تكشف أثر صلاح الفرد وفساده على نفسه وعلى المجتمع، ولذلك أتبع الكاتب بأثر "أبي بكر" – رضي الله عنه-الموضح لهذه العلاقة وآثارها على الفرد والمجتمع من خلال الجمع بين

---

[43] أخرجه "الطبراني" في "المعجم الأوسط"، ح(1379)، ج2، ص99.

[44] أخرجه "أبو داود" في "سننه"، كتاب "الملاحم"، باب: الأمر والنهي، ح(4336)، ج4، ص121.

[45] أخرجه "البخاري" في "صحيحه"، كتاب: الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه؟، ح(2493)، ج3، ص139.

القرءان والسنة، ونصه أن: (أبا بَكْرٍ - بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ- قال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [المائدة: 105]، قَالَ: عَنْ خَالِدٍ، وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ» وَقَالَ عَمْرٌو: عَنْ هُشَيْمٍ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا، ثُمَّ لَا يُغَيِّرُوا، إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ)[46].

ومراده من كل هذا، إصلاح مفهوم وخطأ شائع لدى الناس، إذ غدا الفرد المسلم ينعزل عن الناس وعن كافة الأعمال المنوطة به بحجج واهية، في ظروف وزمن ومكان لا يحسن به أن يتخلف عنه، فهذا مما يكرس عقلية التهاون والتكاسل عن الدور الفعلي والإيجابي للمسلم، بل إنه يرفض -بهذا الفكر - في يوم من الأيام أن يجاهد العدو المستعمر في بلاده.

هذا المنهج التبريري الذي ألفته كثير من الجماعات والحركات الإسلامية الإصلاحية، وهي حال من الضعف لا غير، ولا وجه للاستدلال بها في هذا المقام أو اعتمادها على نحو تبريري لتأخر المسلم وعجزه، فالآية وردت في القوة والأخذ بها ونفع الإسلام لا خلاف ذلك...[47]

ومن الأمثلة المؤكدة على ما سبق ما فعله "الطيب العقبي"، **مخاطبا به أهل العلم والدعوة والإصلاح**، مشيدا بما يتحملون من الأمانة ويتلقون من الأجر والفضل، وفي الوقت نفسه مبينا أن إصلاح العلم والتعليم ودوائره وأهله إنما هو منوط في الأعم الغالب بإصلاح أهله، وفسادهم أو تخلفه إنما هو راجع إلى تخلي أهله عن العمل والدعوة، وتأخر عوامل الصدق والعلم فيهم.

فنجده: (يبين واجب العلماء ووظيفتهم، وإثم تقصيرهم، وأنهم مستحقون للعنة الله وغضبه إذا لم يبينوا، وأن الله لا يقبل لهم توبة حتى يبينوا لأن فساد العالم بكتمه العلم وعدم العمل به لا يكون خاصا، بل يتعدى ويتجاوز إلى غيره من أفراد الأمة التي هو مسؤول عنها، ومن تعلق به حق نفسه، وحق غيره كان حريا بأن لا تقبل له توبة حتى يبين ما كتمه عن الغير ويصلح ما أفسد في هذا المجتمع، الذي هو مسؤول عنه بقدر ما أوتي من علم ومقدرة، وكل هذا في قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾ [البقرة: 159-160]، وإن في ختم الآية بقوله: "وأنا التواب الرحيم"، ما يستلفت أنظار ذوي الفهم لشديد

[46] أخرجه "أبو داود" في "سننه، كتاب: باب: الأمر والنهي، ح(4338)، ج4، ص122.

[47] ينظر : الشريعة، ع1، ص2-3.

غضب الله على العلماء غير العاملين بعلمهم والكاتمين لما أنزل بيانا للناس وهدى للعموم، وأن من لعنه التواب الرحيم وأبى قبول توبته إلا بذلك الشرط الذي يرجع به حق الأمة على العلماء الى الأمة لجدير بأن يلعنه اللاعنون ويتبرأ منه عباد الله المؤمنون وأولياؤه الصالحون....)[48].

ومما يلاحظ –هنا- أنه استدعى في خطابه لونا من ألوان التفسير للقرءان، وهو اعتبار المناسبات في الآية نفسها، من خلال ردّ فاصلتها إلى موضوعها، ومراعاة سياقها الواردة فيه.

ومثاله ما وقع عند مخاطبة الولاة والنواب، نجد "العربي التبسي" في مقاله الموسوم بعنوان: "كلمة الجزائر المسلمة إلى النواب المسلمين"، (فقد ذكرهم بتقصيرهم تجاه قضايا الأمة وسكوتهم وتماديهم وتجاهل واجباتهم الحيوية والوطنية، وأنه إن حق لهم تجاهلها أو تجاوزها فإنه لا يجوز لهم بحال تجاهل وصايا النبي "صلى الله عليه وسلم"منها حديث معقل بن يسار عن النبي "صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ»[49] كما ذكرهم بحديث عائشة "رضي الله عنها" أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ"[50]، وبعد سرده لهذه الأحاديث نجده يستلهم منها داعي الترهيب الذي يكون سلطانا على السامع لهذه الاحاديث، بقوله: وهذه دعوة مستجابة على من ولي أمر الأمة شيئا فلم يرفق بهم، ولم يحطها بنصيحته ولم يدافع عن مظلومها ولم يذبّ عن دينها...)[51].

وقد أشار "أحمد الرفاعي شرفي" على هامش هذا المقال معلقا، أن موضوعه أو كلام "العربي التبسي" يشير به إلى قضية الخلاف الواقع بين المصلحين في جمعية العلماء والطرقيين ورؤساء الزوايا المدعومين من قبل الإدارة الفرنسية، بعد فشلهم في الاستيلاء على إدارة الجمعية إلى أن تنقلت الإدارة الاستعمارية وأسست "علماء السنة" لتمنع علماء الجمعية من الوعظ والإرشاد، وإعطاء الرخص لغيرهم...[52]

ومن **أمثلة حسن استثمار القرءان والسنة** وتوظيف فهمهما، ما أورده "أبو يعلى الزواوي"، من أنواع التربية الدينية والاجتماعية، وعدم اختصاصها ببعض الطلاب أو من يعتادون المساجد، بل بلغ بنصيحته كل شرائح

---

[48] ينظر: السنة، ع10، ص3.

[49] أخرجه "البخاري" في "صحيحه"، كتاب: الأحكام، باب: بَابُ مَنِ اسْتُرْعِيَ رَعِيَّةً فَلَمْ يَنْصَحْ، ح(7150)، ج9، ص64. ومسلم في "صحيحه"، كتاب: الإيمان، باب: استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، ح(142)، ج1، ص125.

[50] أخرجه "مسلم" في "صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ، وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ، ح(1828)، ج3، ص1458.

[51] أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ج3، ص159-160.

[52] المصدر نفسه، ج3، ص159- 160.

المجتمع وعلى رأسهم الصحفيون والكتّاب وأصحاب الأقلام.

فيرى "أبو يعلى الزواوي": (أن شهر رمضان قد دخل، وأنه لا ينبغي أن يكون المراء والجدال مستحكما بين أصحاب الجرائد ولذلك ندعوهم إلى طرح ذلك عملا بالحديث "الصوم جنة، فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو سابه فليقل إني صائم، إني صائم"[53]، وقوله: "مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ، وَهُوَ مُحِقٌّ، بُنِيَ الله له بيتا فِي أعلى الْجَنَّةِ، ومن تركه وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة"[54]، فأنفذوا اتفاقهم، وأرسلوا لأصحاب تلك الجرائد، فإذا بها رفضت ذلك ولم تنشره إلا مجلة "الشهاب"، فنشرته حالا ممتثلة لذينك الحديثين وماذا يقول علماء السنة في هذا)[55].

سادسا: حسن التّسلّي بهما:

ولم يكن "التسلّي" بالقرءان والسنة بدعا من العمل، بل هو منهج علاجي بينه القرءان ودعا إليه، فالله سلى نبيه "صلى الله عليه وسلم" بالقرءان" تارة، والسنة تارة أخرى، وفي مواقف كثيرة، كأحسن ما يدفع به حزن القلب ووهنه عند توالي المصائب وحلول الأزمات والتعرض للمشكلات والآفات.

لقد كان الصراع بين السنة والبدعة أظهر ما ابتليت به الجمعية، وأشد ما يرونه على الدعوة والشعب والوطن، فنجد كثيرا من العلماء ينتهج ما اعتاده القرءان من تسليه نبيه "صلى الله عليه وسلم"، ومن ذلك قول "العربي التبسي": (وحسب أهل الحق في مثل هذا الموقف أسوة وعملا بآية: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت: 1-2]، فالسنة وأنصارها صابرون محتسبون على هذه المحنة التي امتحنوا بها في سبيل إحياء السنة وإماتة البدعة، وحسب جريدة السنة في الأوساط الاسلامية وحبنا للمؤمنين ما أحببناه لأنفسنا من تعلم السنة والعمل بها، وقد جاء في السنة أنه: "لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[56])[57].

سابعا: الدفاع عن الأصلين:

---

[53] أخرجه "البخاري" في "صحيحه، كتاب: الصوم، باب: فضل الصوم، ح(1894)، ج3، ص24. و"مسلم" في "صحيحه"، كتاب: الصيام، باب: حفظ اللسان للصائم، ح(1151)، ج2، ص806.

[54] من غير لفظ "وهو مبطل"، أخرجه "الترمذي" في "سننه"، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في المراء، ح(1993)، ج4، ص358.

[55]

[56] أخرجه "البخاري" في "صحيحه"، كتاب: الإيمان، بَابٌ: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، ح(13)، ج1، ص12. و "مسلم" في "صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لإخيه، ح(45)، ج1، ص67.

[57] أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ج3، ص151.

وذلك من خلال إصلاح الفهم للقرءان والسنة وحمايتهما من آفتي التغليط والتخليط، ومما يحيط بهما خاصة من ضلالات وفهوم المتصوفة والمبتدعة والمؤولة[58].

لقد تمظهر هذا الدفاع في أمرين اثنين: أحدهما: الدفاع المباشر، وثانيهما: غير المباشر.

1/الدفاع المباشر:

ومن ذلك أن بعض المشايخ يتأولون القرءان ليناسب أهواءهم ويساعد في التفاف الناس حولهم لا حول القرءان والسنة، ومن ذلك:

أولا: ما كتبه أبو العباس أحمد الهاشمي في مقاله" يا حسرة على العباد" من أنه طالما يسمع كثيرا من اتباع الشيوخ (أن في يوم الحساب كل طائفة تدعى باسم شيخها أخذا في نظرهم من قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم، عفوك اللهم لأناس يقولون في الآية من غير استحضار للأشباه والنظائر وبدون نظر في السابق واللاحق بل يخطفون الخطفة وينتقون من الآية بقدر ما به حاجتهم وعلى نسبة ما فيه من الحجة لهم، كلا إن المراد بالامام في الآية الكتاب فإن الإمام في عرف القرءان يطلق على الكتاب قال تعالى: (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً) مكررا في هود وفي الأحقاف، وبهذا تتفق الآية مع نظيرتها في الجاثية (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) (28)، ومن وراء هذا، أما استوقف أنظار هؤلاء وهز عواطفهم قوله تعالى: (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا) (111)، كيف يتوهم متوهم بعد هذا أن الناس يدعون بأسماء مشايخهم ومشايخهم هم الذين يتولون الجواب عنهم؟ ....)[59].

ثانيا: وفي مقال آخر كني فيه اسم كاتبه بـ: "الفتى القبائلي" وهو أحد أعضاء الجمعية، وقد كتب فيه ما يقي المسلم من آفتي التخليط والتغليط، وأنهما من أشد ما يفسد الدين والاجتماع، وفي السياق بين أن كل الأعمال الواقعة من جنس هاتين الآفتين إنما يحكم لأصحابها بحكم الشريعة، وذلك أنهم يحاربون الله ورسوله، ولا غرض لهم ابتداء وانتهاء غير هذا، ففيهم حدّ الحرابة، واستدل بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤ ﴾ [المائدة: 33-34]. وهذا تخريج حسن

[58] ينظر: السنة: ع7، ص3.

[59] ينظر: السنة، ع9، ص8.

إلى حدّ بعيد، بين فيه صاحبه بعد نظره إلى الآفات والأعمال ومآلاتها على الدين والمجتمع[60].

ثالثا: كتب "الزاهري" مقالا عن "طه حسين"، يصف فيها منهجه وعمله الفكري والأدبي وأثر ه، على الدين والأدب العربي نفسه، وما أنتجه من المؤلفات وعلى رأسها كتابه "الشعر الجاهلي"، ورسالة "قادة الفكر"، وكتاب "المجمل في الأدب العربي"، المشارك في تأليفه، فهذا الكتاب ليس له إلا نتيجة واحدة يحصل عليها الطالب عندما يفرغ من قراءته، وهي أنه لا قيمة لهذا الأدب العربي وليس هو شيئا مذكورا وأنه لا ثقة بالأدباء العرب في كل ما لهم من الروايات والأسانيد[61]...

وأما كتابه "في الصيف" فانتقد بأن فيه دعاية كبرى إلى التوراة وإلى تلاوتها ودراستها، وزعم أنها مورد عميق من موارد الأدب الرفيع العالي، ولكنه لم يقل كلمة واحدة يدعو بها الى تلاوة القرءان وإلى دراسته كمعجزة للفصاحة وسحر البيان على أن رأيه هذا هو رأي باطل غير صحيح فأدباء لبنان مثلا الذين توفروا على دراسة التوراة وتفهمها وتذوقها لم يكونوا هم المبرزين في حلبة الأدب العربي في هذا العصر الحديث...[62].

2/ الدفاع غير المباشر:

أقصد بـ "الدفاع غير المباشر" ما اتخذ من الجهود شكل المحاربة الدائمة، والتي تؤدي إلى تصحيح مفاهيم الإسلام[63]، وتنوير الرأي العام، ورد عدوان المخالفين، وكيد الكائدين، لذا كانت الجمعية وخطاباتها أشد وقعا على أهل البدع والطوائف والفرق، ومنتحلي الكفر والمنافقين، إضافة إلى الخصوم وأصحاب المصالح الشخصية...[64]، وكثيرا ما تم التصريح بهذا من شيوخ الجمعية وأعضائها، وأنها (أسست لمحاربة البدع والأضاليل، وما أرى إن شاء الله إلا سعيها مكللا بالنجاح، وعنوان ذلك وجود أمثالكم بيننا..)[65]، وهذا بعض ما اقتطف من كلام "الكاتب الأديب" حامد الأرقش" في الذكرى النبوية بـ "البوني".

والسؤال – هنا- لماذا شدّد علماء الجمعية حربهم، ولسانهم، على الطوائف وأهل البدع والمتصوفة؟، والجواب عنه أنهم يدركون – وبوعي تام -ما تقوم عليه هذه الظواهر وصور التدين من الجهل والتضليل، والكفر

---

[60] ينظر: الشريعة، ع5، ص7-8.

[61] ينظر: الصراط السوي، ع4، ص4.

[62] ينظر المصدر نفسه، ع4، ص4-5.

[63] ينظر بتفصيل: الاسلام الصحيح وما يقابله من التدين الفاسد والذي حملت الجمعية على عاتقها تصحيحه من العقائد والأحكام والعبادات والتصورات والأخلاق: الشريعة، ع3، ص2.

[64] ينظر: السنة: ع2، ص3-4، و6.

[65] الشريعة، ع4، ص6.

والنفاق، ومن استغباء الشعوب المضطهدة، ومن التعاون المصلحي مع السلطة الفرنسية، توصلا إلى نيل رضاها، وتحقيقا لمآربها الدنيوية كجمع المال، والصد عن سبيل الله، وعن تعليم الناس طرق الخير، وأكثر الامم جهلا أكثرهم قبولا للاستعمار.

لقد كان لهذا اللون من الإصلاح تحديدا أثرا بالغا على الجمعية ونشاطاتها ورجالها، فأما نشاطاتها فقد سبق الإشارة إليه، وأما رجالاتها فقد كثرت عليهم طرائق الاعتداء من قبل الصوفية والطرقيين، كاعتداءاتهم على "الزاهري"[66].

يقول "الطيب العقبي": (وقد كنا نحسب أن مثل هذا الاعتداء ينتهي بعد حادثة ذلك العليوي الجاني على الأستاذ الشيخ (عبد الحميد بن باديس) واقتصاص يد العدالة منه بما صيره عبرة لغيره وموعظة للمعتدين. فإذا به يتجدد مرة ثانية, فقد جاءتنا أنباء اليوم بفاجعة جديدة وجناية فظيعة تضاف إلى جنايات رجال الطرق السابقة حيث اعتدى بعض الطرقيين على (الأستاذ الزاهري) في هذه الأيام بمدينة (وهران) العضو الإداري بجمعية ((العلماء المسلمين)) وصاحب الكتابات الكثيرة ضد الضالين المضلين بما ذكرته جريدة ((الشريعة)) التي له اليد الأولى في تحريرها, وتالله لقد هالنا هذا النبأ العظيم وأحزننا تجدد مثل هذه الحوادث من حين لآخر بهذا القطر البائس المسكين, وعز علينا ما نزل بأخينا الأستاذ الزاهري ولكننا لم نرتب في أن القوم قد انهزموا في هذه المرة أيضا من ميدان المقاومة الشريف, وأن ما يبذلونه من الجهود في الكيد لنا قد ذهب هباء منثورا وأن مكائدهم في صد الأمة عنا قد تلاشت, ومساعيهم في مراغمتنا بقوة رجال الحكومة قد أخفقت تماما وذهبت أدراج الرياح ولولا ذلك كله لما عمدوا إلى هذه الوسيلة المرذولة ولما تصدوا إلى قتل الحركة الإصلاحية والقضاء على جمعيتنا العلمية الدينية في أشخاص رجالها الأحرار فإذا بهم يسجلون لهم تاريخا أغر. وإذا بهم يرسمون لهم من دمائهم المارقة صور الكمال والجمال, ويكتبون لهم آية الحب وسور الإخلاص لهذا الوطن, ويذيعون لهم بمثل هذه الحوادث منشورا سيقرأ به العالم كله ما تنطوي عليه قلوب المصلحين وما هم عليه من صلابة في الدين وقوة في الإسلام والإيمان)[67] .

ثم إننا نجد "العقبي " في ختام خطابه يستشهد بما يسليه ويسلي علماء الجمعية، مذكرا بما ورد في القرءان الكريم، فيقول عن "الزاهري" إننا: (نهنيه ونهني أنفسنا لا بنجاته من الموت وانفلاته من يد ذلك المعتدي الأثيم فقط وانتصاره عليه وعلى من معه, بل بما تحقق له من الظفر الكبير والفوز الذي ناله بهذه الضربة, وإنها لضربة في

---

[66] ينظر: الشريعة، ع4، ص5.

[67] الشريعة، ع6، ص3-4.

سبيل الله كتب اسمه بها في (ديوان الصالحين) وشهد له المؤمنون وسيشهدون وتشهد الملائكة بين يدي رب العالمين بأنه أوذي في سبيل الله. وأنه قد لحقه بعض ما يلحق أولياء الله المؤمنين من الابتلاء ومن الأذى الكثير, تحقيقا لقوله تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران: 186]) .

والقصد من سياقنا لهذا كله، بيان استثمار القرءان لصالح الاتجاه الإصلاحي لدى علماء الجمعية.

ثامنا: العناية بتقديم النص القرءاني وتدريسه:

أود أن أشير هنا إلى طرائق العناية بتقديم القرءان إلى شرائح المجتمع من قبل علماء الجمعية، مما يؤكد لنا جانبا مهما من جوانب خدمته، فمرة تكون من قبل مراعاة القرءان مباشرة، ومرة من قبل الاهتمام بالمعتنين به، طلابا وشيوخا، ومن أهمها:

1- **حسن التصدير به في المجامع والمحافل:** فلا تقدم الجمعية إلا رجلا عالما من أهل القرءان يفتتح به المجلس، عارفا بما يقرأ وكيف يقرأ، يحرك به قلوب السامعين وعقولهم، ففي أحد اجتماعات الجمعية بناد من نواديها وأمام جمع غفير (جود العقبي آيات من القرءان الشريف تنطبق على حالة الجمعية من جميع مناحيها ورتلها بصوته الشجي وبلهجة حجازية ترتيلا، فأسالت منا الدموع الحارة، وكأننا والله لم نقرأ تلك الآيات، فثبت بها القلوب، وزادها إيمانا على إيمانها...)[68].

ومثله ما وقع عند نزول "المبارك الميلي" ببلدة القرارم، واختير لدرس في تفسير سورة الليل، فقبل (الشروع في الدرس قرأها العالم الشيخ "محمد الصغير السبيعي" بترتيل حسن وصوت رخيم، وبالانتهاء منها شرع الاستاذ في الدرس...)[69]. والأمر نفسه اعتاد عليه علماء الجمعية، في محافلهم ومجامعهم ومساجدهم[70].

فهذا الانتقاء للعلماء القراء من الجمعية، مشعر بعناية خاصة تجاه القرءان، وأكثرهم إنما تتصل أسانيدهم بالحضرة النبوية، كابن باديس، والعقبي، ومحمد الصغير اليعلاوي....رحمهم الله.

2- **حسن العناية به من حيث رعاية المعتنين به:**

---

[68].الصراط السوي، ع4، ص5

[69]المصدر نفسه، ع6، ص6

[70]المصدر نفسه، ع9، ص8.

تشير الجمعية في أكثر من موضع إلى وجوه العناية بالمنتسبين إلى التعليم الديني، على أن تخصّ المعتنين بتعلمه وتعليمه برعاية كبرى، بغية تأهيلهم لمهمة الإصلاح والتربية والتعليم، وهذا بعد نظر سديد، لذا تقسم الجمعية العناية بالقرءان وتعليمه في فكرها الإصلاحي إلى أربع نواحي، تكتمل بها حقيقة هذه العناية، فأولها: من ناحية فضيلته وتعلمه وتعليمه للناس والناشئة، وثانيها: من ناحية اختيار المعلمين، وثالثها من ناحية أساليب التعليم وأقربها إلى تيسير التعليم للطلاب، ورابعها: من ناحية تحسين حال المعلمين وتوفير أجرتهم،[71]... كل ليؤسس التعليم الديني ويبنى الفكر الإصلاحي على أسس متينة، وليكون ما يبنى عليها أقوم.

ثم إن الجمعية لم تجعل العناية بالقرءان موقوفة على شيوخها، بل حملت مسؤولية نجاحها أو تعطيلها الأمة والشعب كله، دون استثناء، فدعت إلى (وجوب تعدد الكتابة فيها في الموضوع، حتى تحدث تأثيرا كبيرا في المجتمع وتكون رأيا عاما في الوطن)[72].

لذلك أكثرت "الصراط السوي" في مقالين اثنين من جمع أكبر عدد لآيات وأحاديث التعليم وفضله، المادحة لأهله، والذامة للمباهين بالقرءان والمتعيشين به، والمذكرة للمسلم بالغاية والفائدة من تعلم وتعليم القرءان والعمل به[73].

يمكننا على ضوء هذه الدعوة الأخيرة تفسير فشلنا المعاصر في كثير من المشاريع الإصلاحية، والتي نسعى إلى تحقيقها، ثم ما نلبث أن نرى فشلها، أو ضياعها، وربما نعجز عن مواصلة المسير فيها، لا لشيء إلا أنها لم ترق في العقل والضمير الجمعي، ولدى الشعب والمسؤولين، بل لدى الجميع إلى درجة كونها "رأيا عاما"، و"قضية الجميع"، وليدرك الناس أن العناية بالقرءان عناية بتربية الأجيال.

وكثيرا ما يجمع "ابن باديس" بين هذه القضايا، ولا أدل على ذلك من تركيزه على القرءان وتفسيره والحديث وفهمه، في ما أشار إليه عند افتتاح الدروس العلمية في قسنطينة يوم السبت 2 رجب 1352ه و21 أكتوبر 1933م[74]...

تاسعا: الدراسة العلمية التحليلية للقرءان والحديث:

فأما القرءان فمن حيث تفسيره واستنباط ما فيه من الأحكام والعبر والعظات، إذ يخضع فيه علماء الجمعية إلى

---

[71] ينظر: الصراط السوي، ع15، ص1، وينظر المصدر نفسه، ع2، ص1-2، وع3، ص1..

[72] ينظر: المصدر نفسه، ع15، ص1.

[73] ينظر: المصدر نفسه، ع16، ص1-2.

[74] ينظر: المصدر نفسه، ع4، ص3.

منهج تفسيري تحليلي، وأكثر من نسب إليه هذا اللون كل من "ابن باديس"، و"الميلي"، و"العقبي"، إلا أن التراث التفسيري في غير هذه الجرائد الثلاث أكثر منه فيها.

كان الحديث أكثر حظا من القرءان في الدراسة العلمية، وحضورا في الجرائد الثلاث، ومن أمثلة هذه الدراسة ما نقلته "الصراط السوي"، مما حرره "ابن باديس" في مجلته "الشهاب"، وأعيد نشره في "الصراط السوي" لأهميته، تحت عنوان: "دعاء المخلوق غير التوسل به للخالق"، فأورد حديثا لـ " الترمذي": (حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلاَنَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّ رَجُلاً ضَرِيرَ البَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي قَالَ: إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قَالَ: فَادْعُهْ، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِيَ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ)[75]. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي جَعْفَرٍ وَهُوَ الْخَطْمِيُّ.

فشملت الدراسة التحليلية للحديث جوانب عديدة أهمها: (سند الحديث، ومخرجي الحديث، ورتبة الحديث العلمية والعملية، وثبوته، وألفاظ متنه، ومفرداته وغريبه، وتراكيبه، ومعانيه، وما يستنبط منه من الأحكام، وما يتوجه به إلى الحديث من الشبه والمعارضات،....)[76] .

وعلى نحو هذه الدراسة التحليلية تمت دراسة كل من حديث: "نظفوا أفنيتكم"[77]، مبينا أن المدنية الإسلامية إنما قامت على خلق النظافة، وأنها مسؤولية الجميع، طريقها الوحدة والتعاون لا الاهمال أو التقصير[78].

وحديث: رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[79].

---

[75] كتاب: الدعوات، ح(3578)، ج5، ص 569.

[76] ينظر بتفصيل: الصراط السوي، ع9، ص2-4.

[77] الحديث ورد عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَسَّانَ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ، فَنَظِّفُوا - أُرَاهُ قَالَ- أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ» قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُهَاجِرِ بْنِ مِسْمَارٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنِيهِ عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «نَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ». أخرجه "الترمذي" في "سننه"، كتاب: "الأدب"، باب: ما جاء في النظافة، ح(2799)، ج5، ص111. وعلق عليه "الترمذي" بقوله: (هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَخَالِدُ بْنُ إِلْيَاسَ يُضَعَّفُ).

[78] ينظر: المصدر السابق، ع10، ص1,

[79] أخرجه "مسلم" في "صحيحه"، كتاب: الصلاة، باب: فضل السجود والحث عليه، ح(489)، ج1، ص353.

فتضمنت الدراسة: (راوي الحديث، وألفاظه، وتراكيبه، ومعانيه، ورواياته، ثم الجمع بين طرقه، ثم النظر فيها، ثم الترجيح بينهم، ثم توجيهها، ثم احكامه، ثم حكمه وإرشاداته، فينتهي بدراسته وتحليله إلى ما يرمي إليه الحديث من أبعاد شرعية ودينية، ونفسية، عقدية...)[80].

وفي إحدى زيارات "المبارك الميلي" لـ"ميلة"، قام بتفسير قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة: 17-18]. فذكر شروط العمارة وأحكام مخالفتها ومخالفيها، وكان مما استنبطه -مما دل على فهمه البلاغي العميق- من عطف إيتاء الزكاة على إقام الصلاة، أن الوصف الذي يعطي لصاحبه الحق في عمارة المسجد لا يكون كاملا حتى يكون شاملا للمنفقين، وحتى يكون صاحبه زيادة عن إقامة الصلاة ممن يرجى منهم إعطاء الزكاة حرصا على تنزيه هذا الوظيف السامي من أن تمتد إلى كرامته اليد السفلى، أو أن تتخذه النفوس الوضيعة شركا....ثم بين معنى الترجي في قوله "فعسى أن يكونوا"....وما إن أتم تفسيره حتى عقبه "ابن باديس"، فأتم التفسير للآية متمما بتفسير قوله تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النور: 36][81]...

يمكن القول أن استثمار القرءان والسنة لصالح الاتجاه الإصلاحي كان ملمحا بارزا في جهود الجمعية ونشاطاتها المختلفة، وعلى جرائدها ومجلاتها، وفي خطبها وخطاباتها، فلا تترك بابا منهما إلا استخدمته فيما يعيد لها ولشعبها ووطنها عزة وكرامة، ويحيي لها مجد دينها القويم، وأقل العمل أن تعقد أبوابا في جرائدها تنشر فيها سنة المصطفى "صلى الله عليه وسلم"، أسموه (آثار وأخبار)، وأشير إلى أنه : (ينشر فيه من الأحاديث وآثار السلف الصالح وأخبارهم ما يدل على فضل العلم والرغبة في تحصيله، وما يدعو إلى السنة والمحافظة عليها، ويحذر من البدعة ومقارفتها، ولا يلتزمون ذلك إلا بما يسع الجريدة، كما أن هذا الباب لا يحتكر الكتابة فيه من أحد، فهي للجميع ...)[82].

الخاتمة:

[80] ينظر الصراط السوي، ع13، ص3

[81] ينظر: المصدر نفسه، ع9، ص8.

[82] ينظر: السنة، ع2، ص7، والشريعة ع4، ص7.

بناء على ما تمت دراسته، واستقراؤه وتحليله، يمكن القول أن الدرس التفسيري والحديثي، قد استثمر من قبل جمعية العلماء المسلمين في فكرها الإصلاحي بشكل واضح، شكلا ومضمونا، اتجاها ومنهجا، تجلت ملامحه في مجالات عدة، معتبرة أنهما أهم علوم النهضة والفكر والإصلاح، بل وأهم وسيلة يمكن بها نقل الفرد والمجتمع من دركات الجهل والاستعمار والتخلف والتدين الفاسد، إلى درجات القوة والتقدم والانسانية في أنساقها وتمثلاتها المختلفة، ومن أهم النتائج المتوصل إليها:

1-اتخذت العناية بالدرس التفسيري والحديثي في الفكر الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين ثلاثة مظاهر:

أولها: العناية الوعظية الإرشادية، من حيث الواقعية في الدعوة إلى القرءان والسنة، وتنزيل النصوص على الواقع، وتحليل القضايا وعلاجها، ومحاولة تقويم سلوك الأفراد والمجتمعات، وتصحيح المفاهيم بغية التوصل إلى التدين الصحيح، والعقل الواعي لنفسه ولما حوله.

ثانيها: العناية العلمية الدراسية: من حيث دراسة القرءان (وتفسيره)، والسنة (وفهمها)، واستعمال الجهد في الاستنباط لما يرد فيهما من الأحكام والحكم، سواء أكانت الدراسية تحليلية أم موضوعية، لمتون الأحاديث وأسانيدها وموضوعاتها، مما ينبئ عن علمية أهلها ونبوغهم المعرفي.

ثالثها: العناية الخارجية: من حيث الاهتمام بالتعليم الديني وطرائقه، واختيار المخاطبين والمخَاطبين، والسعي نحو تحصيل مرافقه وذيوعها في كافة أنحاء الوطن.

2- من معالم استثمار الدرس التفسيري والحديثي حسن تثويرهما وتوظيفهما تعلّما وتعليما.
3- تقديم الإصلاح الديني على سائر الإصلاحات، وتقديم القرءان والسنة فيه.
4- شمولية الاستفادة من الدرس التفسيري والحديثي في شتى مناحي الحياة.
5- حسن الانتقاء للعلماء والمدرسين للقرءان والسنة، (مراعاة الكفاءة العلمية) توصلا إلى الكفاءة الغائية.
6- اعتماد مبدأ العالم والمعلم الصالح، والصالح المصلح معا، تجنبا إلى عوائق الرد والتسرب التعليمي والنفاق الاجتماعي.
7- اعتماد مبادئ الاقتداء في التربية والتعليم من خلال نقل التجارب السلفية.
8- اعتماد منهج وحدة الفكرة والمنطلق (الكتاب والسنة)، مع تنوع وسائل النشر والدعوة والخطاب (الجريدة، الخطب، اللقاءات...)، وحسن استغلالها.
9- مراعاة الفروق الفردية في تفسير القرءان وفهم السنة تجاه المخاطبين.

10- أن بناء الإنسان بالإنسان دون قرءان وسنة بناء له تبعاته، وسيكون أول مخترق له ومتخلي عنه هو الإنسان نفسه.

11- الواقعية في الفهم والتنزيل والتفسير والشرح للقرءان والسنة أرجى للإصلاح.

12- تصحيح المفاهيم ودرء المفاسد أولوية الخطاب الإصلاحي لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

المصادر والمراجع.

القرءان الكريم برواية حفص عن عاصم.

- ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان.
- أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، ت: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، مصر.
- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1900-1930، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992 .
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م، ط1، 1998، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان .
- أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.
- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، 1421ه/2001م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، و ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ 4، 5)، ط2، 1395ه/1975م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
- أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين، "العربي التبسي"، ط(2011)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

- جريدة "السنة النبوية المحمدية" (الأعداد 1-13/ 1351هـ-1933م)، دار الغرب الإسلامي، 2003م، بيروت، لبنان.
- جريدة "الشريعة النبوية المحمدية" (الأعداد 1-7/1352هـ-1933م)، دار الغرب الإسلامي،2003م، بيروت، لبنان.
- جريدة "الصراط السوي" (الأعداد 1-17/1352هـ-1933م)، دار الغرب الإسلامي،2003م، بيروت، لبنان.
- محمد بن أحمد يكن المنصوري الغسيري، صور من حياة ونضال الزعيم الإسلامي والمصلح الديني الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس، تقديم: مسعود بن موسى فلوسي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2018 .
- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، "صحيح البخاري"، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، 1422ه، دار طوق النجاة .
- محمد ناصر، تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، عالم المعرفة، الجزائر، 2015.
- مراد مزعاش، جهود جمعية علماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية 1931هـ-1954م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
- مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

المقالات:

- مقال: رابح رباب، منهجية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الإصلاح سنوات: 1919-1954م، المنشور ضمن أشغال الملتقى الوطني الخامس للفكر الإصلاحي في الجزائر.
- مقال: فتيحة نعيمي، كيف نستثمر المخزون التاريخي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنشور ضمن أشغال الملتقى الوطني الخامس للفكر الإصلاحي في الجزائر، الجمعية الثقافية الشيخ العربي التبسي، تبسة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011.